مجلة المنار

المجلد الخامس

الجزء الخامس والسادس

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

الجزء الخامس — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢)

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

نشير في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

القضاء في الاسلام — النبذة الرابعة عابر القضاء

(تمهيد) أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها الاركان عظيمة، وأصول قوية، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس اثبت من هذا الاساس وأركان أقوى من هذه الاركان فليدلنا على ذلك والا فليذعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهدُ رأيي ولا آلو (أي لا أقصّر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه على صدره وقال: « الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوّض اليه تحري الحق في الأقضية والاجتهاد لاستبانة العدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل

(ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

---

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي يصيبه الحاكم أو يخطئه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فاذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولا في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يسددانه مانوى الحق فاذا نوي الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل أن مراد الشرع منهما هو ما يعرفه الناس بالفطرة السليمة والعقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد لتهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفاءه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يارسول الله اذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى مالا يراه الغائب ؟ قال « بل الشاهد يرى مالا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لايحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

---

(٢٧) رواه الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده متهم (٢٨) رواه احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والافصح عبارة. وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الامر العام بها في القرآن وستأتي شواهدها في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي باسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر »

(٣١ ح) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي واليمين على المدّعَى عليه »

(٣٢ ح) عن وائل بن حجرة قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يارسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يارسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال ليأكله ظلماً

(٢٩) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواه أحمد ومسلم
(٣١) رواه الترمذي (٣٢) رواه مسلم والترمذي وصححه

www.alukah.net من شبكة الألوكة

ليلقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين) مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل مايبين الحق فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين . ولا حجر في الاصطلاح مالم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحداً وهو مانحن فيه ـ لفظ البينة ـ فانها في كتاب الله اسم لكل مايبين الحق كما قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات» وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجال نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين أوتو الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة » وقال « قل إني على بينة من ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناهم كتاباً فهم على بينات منه »(١) وقال : « أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى » وهذا كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البتة اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة » وقول عمر : البينة على المدعي . — وان كان هذا قد روي مرفوعاً — المراد به ألك مايبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظهر بدليله أبداً فيضيع حقوق الله وعباده ويعطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لافائدة في تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بيناتٍ) والباقون (بينةٍ)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يمكن جحده ودفعه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يبدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف مايفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البينة والدلالة ويضيع حقا يعلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق معين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل مايريد ويقول لا يقوم علي بذلك شاهدان أثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحينئذ أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة المغنية عن التفريط والعدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجيء بعدها ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموتُ حينَ الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله « من غيركم » أيتها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده

« وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكام لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين ولا بالنكول ولا باليمين المردودة ولا بأيمان القسامة ولا بإيمان اللعان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه » . اهـ المراد منه وذكر بعده ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخليفتين(١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد فى كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضي فى ذلك بقضاء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياه ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجد في القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم » . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لانها مبنية على ماذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلا . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجاهلين الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم لآن ضرب عن المشاورة

(٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . » وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهن للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمعناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضعيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي العوام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذ أدلي اليك [1] فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخوصم اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بحق لانفاذ له. آس[٢] بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على المدعي واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا. ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي اليه فان بيّنة[٣] أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى[٤] ولا يمنعك قضاء قضيت فيه[٥] اليوم فراجعت فيه رأيك[٦] وهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق[٧] فان الحق قديم لا يبطله[٨] شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[٩] والمسلمون عدول بعضهم على بعض[١٠] الا مجرباً عليه شهادة زور او مجلودا في حد أو ظنينا في ولاء أو قرابة[١١] فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والأيمان. ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك[١٢] مما ليس في قرآن ولا سنة. ثم قايس الأمور عند ذلك وأعرف الامثال[١٣] ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق. وإياك والغضب والقلق

الذي تحكم به بين الخصوم. وفي نسخة كنز العمال (اذا أدّي اليك) ولعلها تحريف

(٢) في نسخة كنز العمال (وآس) والمعنى ساو بينهم (٣) في نسخة كنز العمال «فان جاء ببينة» (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للعمى فكتب (للعلماء). (٥) في الكنز (قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (ان تراجع الحق) (٨) في الكنز (لايبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة (في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة الكنز مرفوعة. والظنين المتهم في شهادته للقرابة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشباه) وليس المراد انه يقيس على كلام غيره وانما ميزان القياس ماذكره بعد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم (شك أبو عبيد) فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر (١٤) فمن خلصت نيته (١٥) في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شانه الله (١٦) فان الله تعالى لا يقبل من من العباد الا من كان خالصاً. فما ظنك بثواب عند الله (١٧) في عاجل رزقه وخزائن رحمته. والسلام عليك ورحمة الله» (١٨)

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في اعلام الموقعين: «وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتي أحوج شيء اليه والى تأمله والتفقه فيه» ثم شرحه شرحاً مطولا. وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لاننا رأيناها أصح وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة «كنز العمال» في الهامش وليس فيه شيء جوهري.

القسم العمومي

آثار محمد علي في مصر

لغط الناس هذه الايام في محمد علي وماله من الآثار في مصر وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا بعث المادح على الاطراء، وماذا حمل القادح على الهجاء، غير انه لم يبحث باحث في حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد اليه لو بقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ،

كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنساوي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الغربيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسما يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وفروعه وتنزع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على مافي يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للوثوب وإما للدفاع . ولكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستمالتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم

حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخففوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهلين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسَّ الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعظمت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر ان قيّدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك فى يوم أو عام ولكنه كان فى عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة فى مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات المشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسما منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمدّ يده الى ما فى يد الآخر أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من المماليك ما استطاع ليُمِدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوِزُه مؤنتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالى البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا فى أعينهم وصار لهم من الامر مثل مالهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلو جاههم

ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمكن من إخضاع غيره . أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — سعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شمماً وفى العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حياة حقيقية مهما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استبداد لأن يتكوّن منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرّف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنساوي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية الكامنة في البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في تقاريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اضطياد العربان لعساكره من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي لتدبيرها طوعاً لحكم الطبيعة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني وعاونه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنساويين من مصر ولا أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تنتظره البلاد من نوع حكومتها ؟ كانت تنتظر ان يشرق نور مدنيّة يضيء لرؤساء الاحزاب طرقهم في سيرهم لبلوغ آمالهم وقد كان ذلك يكون لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم مايبلغ به غيره الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا أن يخالطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسدل له الجهل دونهم . أو كانت تنتظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى بعض ويؤلف منها أمة تحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم بينها حتى ترتقي بحكم التدريج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى

ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع ان يحيي ولكن استطاع أن يميت. كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الاحزاب على إعدام كل رأس من خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبحزبٍ آخر على من كان معه أولا وأعانه على الخصم الزائل فيمحقه وهكذا حتى اذا سحقت الأحزاب القوية وجه عنايته الى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا) واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهلين وتكرر ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالى وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز على مابقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو نفاد مع بقية بلده الى السودان فهلك فيه

أخذ يرفع الاسافل ويعليهم في البلاد والقرى كأنه كان يحنّ لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللئام ولم يبق في البلاد الا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بأيّة طريقة وعلى أي وجه فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده على أثر اقطاعات كثيرة كانت لامراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكا غير تابع للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين فأوسع لهم فى المجاملة وزاد لهم فى الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوت يومه ملكا من الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسْأَل عما يفعل . وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي بحقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطنيّ غريباً في داره، غير مطمئن في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلّان — ذلّ ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة وذلّ ساموهم الأجنبي إياه ليصل الى مايريده منهم غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم فى سماء البلاد . نعم عني بالطب لاجل الجيش والكشف على المجني عليهم فى بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع الظلم بمتّهم . وبالهندسة لأجل الريّ حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير، ليستغلّ أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً فى إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرنؤدية ؟ هل تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر فى باله أن يجعل للاهالي رأيا فى الحكومة فى عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟ هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الارنؤد أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين يسميهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء وكانوا يحكمون بما يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الامير، صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت فى عهده على قواعد التربية الحسنة، أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومة أو سياستها أو

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرفيعة العماد، الثابتة الاوتاد،

أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يبثوا في البلاد ما استفادوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . وجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير ، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين ، وكان ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستبدين

هل كان له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟ فان وجد أحد نابغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شئتم أحياء أو أمواتا

وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها ، وتخفيف ثقلها عنها ، فنثرتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدلنا على انها ترجمت برغبة بعض الرؤساء من الاوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توجد في البلاد قراء ولا منتفعين بتلك الكتب والفنون

كانوا يختطفون تلامذة المدارس من الطرق وافناء القرى (الأفناء الناس المجهولون) كما يختطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش

حمل الأهالي على الزراعة ولكن ليأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأطيان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبّب الى المصريين العمل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساتذة يحفظون علوم الصنعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بغّض الى المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون يوما لايعاقبون فيه على هجر العمل والصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لاعنين الساعة التي جاءت بهم اليه .

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك . وأنشأ الأسطولاً ضخما تثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الامصار . فهل علم المصريين حبّ التجنّد وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحبّبَ اليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الافتخار بها ؟ لا بل علّمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم المماليك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرّر مصر لايخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بعظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش بلدي أو أسطوله ؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري بعد ذلك الجيش وتلك القوة عوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يعدها كل عثمانيّ في مصر أو في غير مصر . ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب الجندية الى رتبة البكباشي على الاقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الا أسوأ الأثر . أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت وانثرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاخماد ثورة عرابي . دخل الانكليز مصر بأسهل ما يدخل به دامرٌ على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضدّ ما رأيناه عند دخول الفرنساويين الى مصر وبهذ رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لايستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه بنية من الدين ، أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي ؟ دين التحصيل . دين الكرباج .

دين من لادين له الا ما يهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الاسلامي الجليل ؟ لايذكرون الا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا للدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دماءهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضة تبعها جراءة محمد علي على سلطانه العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزنامة لايساوي جزأ من الالف من ايرادها . وأخذ من أوقاف الجامع الازهر مالو بقي له اليوم لكانت غلته لاتقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجلالهم على الموائد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجنديا باسلاً ومستبدا ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً ، ولحياتها الحقيقية معدما . وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متمنا الله بخيره وحمانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المنعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السعيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم حتى للسياحات البحرية والقطبية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤن العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد الطريقة نيلها مع انه تسمى ورآء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونيهلست وسوسياليست) كلها تطالب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنويا فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله . ولا شك ان الواحد من الاربعين يقي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشريعة الاسلامية هي أول شريعة ساقت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه فنّ الاقتصاد المالي الافرادي والسياسي

ويخيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطباؤهم ووعاظهم خوفاً من الامرآء التعرض للشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يستزون جبنهم بجعلهم التحدث في الأمور العامة والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدهم أتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه كأنه خلق امة وحده وسيموت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية وان لهما عليه مثلها ذاهلا عن انه مدني بالطبع لا يعيش الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة انه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تقطبت الجباه اكثر من لحظة ولا اقل لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الأثر لان المراد بأولئك الناس اهل ذاك الزمان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واذا دققنا النظر في حالة الامم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ماعندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنعقد الندوات فيتباحثون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعاظم رجالهم الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(٣) ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المتنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية المفصلة المدمجه بالعلل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديات المتبهة وادخار الآثار القديمة المنوهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية .

(١٠) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حمية وحماسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعبدية بسيطة والحال أن حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور . (مرحى) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوا بينها وبين أهوائهم فاذا يرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الامير لتقبل العامة أيديهم ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على الوف من الضعفاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لايحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لايراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاملين الذين فيهم نوع غلظة لابد منها ونعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية. (مرحى)

فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحط من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يعتنوا بالوسائل اللينة لتلقيت عقول العلماء العاملين لان العلم رافع للجهل فقط ولايفيد عقلا ولا كياسة فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تنعقد (الامامة) شرعاً الا ببيعتهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشراف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاذ في أزاء امراء العشائر العربية اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايبرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤن الامة ٠

واذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالا لامر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأى الامة ٠

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتي انه أخذ رأي سراة الصحابه فيمن استخلف. ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الاول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلها ٠ وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية فانتظمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير فخالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله ساءت الحال حتي فقدوا الملك ٠

وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي ٠

فاذا تقرر هذا علمنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عتوًّا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلا وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الاكثر فقد امسوا لاعلماء هداة ولا سراة اباة بل هم فوضى فى الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين ينجبون من أية طبقة كانت من الامة وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء ٠

فأجاب (العالم النجدى) ان شؤن السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكماء في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين حنيفاً خفيفاً لم يفسده التفنن والتشديد ومع ذلك نرى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء ٠

ثم قال اني أجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وماجاء الحفاء الا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما ماعينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين به لابالنظر الى مانقرره وباعتبار مانفعله لا باعتبار مانقوله ايس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مئين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغيير غيرت نظامه .

وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وايتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقاليدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعي علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق باصول الدين وبعضها باصل الاصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) — مرحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وها نحن أولاء نجد اكثر الامم الحية التي نغبطها قد طرأ على دينها التغيير والتبديل في الاصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترقي الا بعد عزلهم شؤن الدين عن شؤن الحياة وجعلهم الدين امراً يتعلق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجاريه على نواميس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافيكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجاريه او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه لان مبانيه هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتزاحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب الغايات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحب الرئاسة و حرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرّ لايلتفتها غير ناموس شريف واحد مودوع فى فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اى معرفته الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها «فألهمها فجورها وتقواها» (مرحى)،

ولاريب في ان لهذه الفطرة الدينية فى الانسان علاقة عظمى في شؤن حياته لانها أقوى وأفضل وازع يعدل سائر نواميسه المضرة ويخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى)

وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لاترى فيه عوجاً ولاأمتاً وبوجد ان كل دين كان فى اوله باثا في أهله النظام والنشاط وراقيا بهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصلين اثنين (الاشراك بالله والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلا بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتنتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى. أو يتدارك الله تلك الامة بعناية بالغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فيهم أنبياء او حكماء يصلحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامم الماضية كعاد وثمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كانهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى)

ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية فى القرون الاخيرة نجدها عند اكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق الخلاص منه ان كنا راشدين

أعنى بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتى استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفي والجلي عن يمينها وشمالها فاصبحت محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من الغيّ وعندي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان هذه الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً) (مرحي)

وأنتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل

قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجراثيمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج اوكاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول اننا سنبحث في ما هي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير أخينا العالم النجدي نعم المدخل لتقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات وسنن الله في مسراها واسباب طوارئ التغيير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم النجدي ان يتكرم باعادة ماقرره صورة منفصلة في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اه

باب التربية والتعليم

الشذرة الثالثة من جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمهما معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصبية التي القتها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطلبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من اثبات امر يتعلق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لما التقطناها و آويناها الى بيتنا محلا لجميع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع ظرافتها مكسالاً واناةً قليلة العناية بشأنها وان كان لا بد من التصريح قلت انها كانت كثيرة الوساخة وكان هذا الاغتسال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفنج والتدلل من موجبات ذر هيلانه وحزنها ولم ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من صلفها ما اتخذته لذلك من العظات

(١) معرب من باب تربيه اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضروب التوبيخ وانواع الايلام المختلفة ولما كان فيها من حدة المزاج والهيج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا يبدي ادنى اشياء للتعلم . أفرغت هيلانه جهدها فى ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاخفق مسعاها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذى لا يدرى اى جنية خبيثة من جنيات البيرو رمتها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه « أميل »

ذلك لان ميل (لولا) الى ان تعجبه وأن تتحامى ضروب سخريته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً فى ارادتها من جميع عظاتنا ونصائحنا

كان هذا أول سلطان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه فى سنهما

من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أما من جهته فلشدة زهوه وفخره بما له من التقدم عليها فى علومه القليلة وأما من جهتها فلغيرتها ورغبتها فى منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود عليهما بالفائدة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن وأتقن منه منفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجتهدت فى التبريز عليه فى ميدان المطالعة

أرى ان هذه الصحبة تفيدهما فى اخلاقهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

---

(١) يلمح المؤلف بقوله « هذه الحسناء ناعسة الغابة » الى اسطورة من اساطير الكاتب الفرنساوى شارل بيرولت المسماة حكايات الجن ملخصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالعقم مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجعلاها فى كفالة سبع جنيات وأولما لهنَّ وليمة أعدافيها لكل واحدة منهنَّ تحفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقه وشوكة وسكين من الذهب أيضا وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز ثامنة لم يكن حضورها في الحساب فقدمت لها تحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسيء هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منح المولودة صفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستخرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التي كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يغشاها النعاس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلا في يد عجوز فتناولته فخرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها في غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علم تام بما يشتركون فيه من العيوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعييره اياها لذلك نرى « أميل » قلما يوقر « لولا » فيما يراه فيها من النقائص وهي ايضاً لا تقصر في ان تكيل له الصاع بمثله بدون ان يكون في هذه المشاغبات الخفيفة ما يكدر صفو مودتهما الشريفة في شيء وكاني بقائل يقول ان هذه المزايا بعينها توجد في معاشرة الأخ لاخته ووجودهما معاً فاجيبه باني في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .

زرت فيما مضى مدرسة للصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي كن مقصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الغلمان سنة أو سنتين ولم يكن الغلمان أنفسهم بارعين في التقدم والنجاح فخطر في بال القائمين على المدرسة ان يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محمودة فانه لم يمض الا يسير من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً لا نزاع فيه ذلك لان العُجْب الذي هو خُلق فطري في الذكر والانثى والطمع الذى هاج في نفوس الغلمان وجود منافسات زاهيات بانفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهروا في أعينهن ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاولين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجة المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت وجيهة سديدة ولكن لا بد ان نجيب هؤلاء المعارضين بانه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع هذين الصنفين فى قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسة وافنيتها والرياضات المدرسية بالحكمة والتدبير يجنب كثيراً من المضار التي يخشى منها على الآداب والاخلاق

على ان العمل العقليّ انما جعل لتذليل الغرائز والشهوات الخبيثة وقمعها لا لتنبيهها وتقويتها واني خلافاً لاولئك المعارضين ارى ان في التفريق الكلي بين الصنفين خطراً على الفضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء والنفاق لا يكون منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال للتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يلبث ان يظهر فيها وان كثرة بث روح الحذر في أطهر المعاملات واعفها توقظ في النافعين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما هو ناشئ من شهواتهم وتظهر ما يكون كامنا من أشواقهم فينبغي ان تزال هذه الحدود المادية ويعتاض منها بحدود الله التي فطرهم عليها وجعلها في نفوسهم سياجاً لما فرضه عليهم

لا أريد مما تقدم ان الذكر والانثى في التربية سيان يصلح لاحدهما كل ما يصلح للآخر كلا بل ان كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والفروض والغرض المخلوقين من أجله . على اننا نرى النابغين والنابغات من الصنفين يتكافؤن ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والفنون الجميلة والشعر فالاجدر بنا ان نفكر باعداد الازدواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما اوتيه الذكر من حصافة الجنان فان في ذلك لذة حياة الصنفين . وان تربية شطري النوع الانساني منعزلين كأنهما لا يشتركان في شيء مما خلقا لاجله تعجيلا بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم التربية الى الصبي وتفهيمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والكدح في سبيل الخير والعدل والحق فهو اكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق

وعلى كل حال فالمتعلم « لولا » و« أميل » معاً الى ان يقضي الحال التفريق اني لارجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلي . اهـ

﴿ قوانين التعليم الرسمي ﴾

النبذة الثالثة في تعليم البنات

ان المغامز العشرة التي ذكرناها في النبذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد فاتنا التنبيه على مغمز آخر عظيم وهو

(١١) لم يرد في قانون التعليم مايدل على أن البنات يعلمن مايختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض مايفوته من الاحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يتأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن عالمات بأمور الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لايزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالاتفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين . فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلا فعليها أن توافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لانهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممدًّا لها ومساعداً عليها . ونظارة المعارف لاتخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تقصيرها في تعليم الدين وإهمالها لتربيته

وان تعجب فعجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الاسلامية من كبار الموظفين المسلمين . فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعاب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والالتواء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغني في تعليمه عن اللمس والجس وربما نتج عن ذلك الجبت فراع الامر بعض المسلمين الذين لم يفقدوا نعرة الدين فاحتالوا في تبليغ ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يفد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه مارأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسز جرينفيس) الناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوربز) التي عزلت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من انبتت أرض الانكليز تربية وحرية وفضيلة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء . اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء . ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تلزم جميع البنات في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدارسها بتعلم الديانة الاسلامية والتربية عليها عملا ، قالت : ان تعليما بلا تربية لا يفيد وان التربية لاتكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح أن يكون في مدرسة واحده دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثر أهالي البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تقنيع البنات ، وكنّ قبلها في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بأن كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين فى السنة فاجيب طلبها ، فطلب هذه الناظرة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدى « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تغن شيئاً بل لم يطل عليها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها الناظرة فوربز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نقم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل فى النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء سيرة الناظرة التى خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا الناظرة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادنة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها فى المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذى أوعز الى الناظرة والمفتش أن يستقيلا معاً وايعازه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه الناظرة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عن العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعليما وتربية بل لا يوجد فى مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظار وان شئت فقل بالمحتلين وكانت الجرائد كالاهالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف فى الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقبطية والسوريه الا المستر هوتن وناظرة المدرسة السنية

عدّ هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحَدَثُ السياسة المشهور بالخَطَل فى كل ما يكتب فقد اتخذ عزل الناظرة والمفتش دليلا على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لوكاً خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب فى الجرائد التي تعرض على جميع الانظار ولكن كلامه لا اثر له فى الامة وقد مضى الزمن الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الخرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصلحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف فانها لا تزال مثار السوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلّى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. وانني أرى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتاتيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدونه من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافأ عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تفن عنها « الضمانات الخمس » شيئاً بل لا أرى في هذا القانون « للضمانات » فعسى ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه الثناء الجميل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهن فالامة تطلب والعدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد ولكن قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتقصير في التعليم فالى ذلك نوجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

باب الأحبة والأصدقاء

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعثماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرفيق باشا) حملة منكرة عدّد له فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدّد عليه أيضاً ما يعدُّ له فكان بذلك متّهماً بالغرض أو الجهل وقلّما تجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه باغراء الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لا نلوم الكاتب على التطويل بذمه ونقده وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من امارة مكة المكرمة

ومن غلو الكاتب المنكر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال الا في الله تبارك وتعالى كقوله « فاليك يتوسل المسلمون . وبك يستغيث المؤمنون ، ياغياث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وأنه لكلام تقشعر من توجهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . واذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك أنه كاذب فيما كتب فالذي يجعل السلطان أنها اتباعاً لهواه لا يبعد ان يجعل الشريف شيطاناً اتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الاطراء وأقره

ولولا ان الطاعنين في هذا الأمير كثيرون لما حفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريد سنغافور اسمها « ضجيج الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب الينا يومئذ انها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم « حتى ان بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد ارسلت هذه الرسالة يومئذ الى الحضرة السلطانية ويظهر ان ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لا يفعل فعلة الا باذن السلطان ومرضاته لينفرهم منه فاذا ثبت هذا للسلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل اليه والياً حازماً يغل يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون ان السلطان يحب أن يكون الشريف ظالماً غاشماً ليسلم المسلمون في جميع أقطار الارض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشراف العرب

ومما عدّه صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصيره لزيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب الى أمنا حواء عليها السلام .

ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عدّ هذه الاعمال ذنباً لا يغفر أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطمس القبور المشرّفة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال الى مثلها

أخرج الامام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن أبي الهياج الاسدي عن علي رضي الله عنه انه قال « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الاسوّيته » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما رجّح أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه حرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليًّا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعل ذلك كما سيأتي وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الاسلام . منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدّوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة انهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالاصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب الله ويغتار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد توارد الينا من الاخبار مالا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الوليّ الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين اضرّ عليه من عبادة غير الله ؟ وأيّ مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأيّ منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجباً ؟ » اه ثم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها اضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناه بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الدين فشا فيهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم لضعف ارادتهم وانحلال عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واخرج احمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر انه قال: « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجصيص الطلاء بالجصّ وهو الكلس والجير والنهي حقيقة فى التحريم.

واخرج احمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» زاد مسلم والنصارى

وأخرج أحمد وأصحاب السنن الا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عدّ العلماء اللعن من علامة كون المعصية من الكبائر وما كان كذلك تجب ازالته . فاذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا المنكر عملا بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرته على ذلك نعده عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونخاطب السلطان بما لا يخاطب به الا الله عز وجل لاجل التنكيل به ؟؟ لقد انقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب ان يخوض فيه الا اذا عرف ماورد من الاخبار النبوية فيه وأخذ حظًّا من علم طبائع الأمم وسنلمّ بشيء من ذلك ان شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبب ومساجد القبور اننا ننتصر للشريف على كل حال فاننا كنا اول من وجه أنظار مولانا السلطان أيّد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعدمه والظلم في الحرم وفعل مايجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور

(وفاة الشيخ أحمد الحيتبكير) نعى الينا بريد الهند فى الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته الملية من قصائده التي نشرت فى المنار مما كان ينشد فى جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في يوم الجمعة فى ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزّى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر . فنسأل الله أن يحسن عزاء أخيها وأنجالها الكرام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي ١٩ منه توفيت والدة الفاضل النبيل احمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمأتم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جنائز الكبراء والامراء ألوان البدع كحملة مجامر الفضة وصحافها الملأى بالرياحين وكطغمة الخدم المؤتزرة بأزر الحرير وكزعنفة الصائحين بالاشعار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وان كثيراً من أهل الفضل ليودون ابطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء اذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت نفراً من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحو مما أشرنا اليه آنفاً فاجابه آخر بأن هذا هو السنة فحمدت الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف اهلهما فكما نعزي صديقنا الكامل احمد بك تيمور في مصابيه نهنئه بما وفق له من اقامة السنة وخذل البدعة ونسأل الله ان يجعله قدوة حسنة لامثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به الا حَدَث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعيّرنا بلقب (الدخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفراعنة وقد أمرنا الله بالاعراض عن مثله . ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسيني وأمنا حسنية ، وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعداد لثورة كالثورة العرابية فهو مما لا يفهم لأن الثورة لا تكون الا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر الا للمحتلين فان كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نثور عليهم فاننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا الذم وان كان يعني أننا نثور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصلين به

(تصحيح) في السطر ٨ من الصفحة ١٧٠ كلمة رجال وصوابها (رجالاً) فلتصحح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(شروط الواقفين ، وعدم التعبد بكلام غير المعصومين)

جرى على الالسنة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت فى « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الوقف للشارع والواقف وقوفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحثاً نفيساً فى هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم فى كتابه (اعلام الموقعين)أحببت ان أنشره فى المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ تبتدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية فى مسائل خالفوا فيها النص أو خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة ان لايخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لايتزوج عليها ولا يتسرى فهو شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت فى المهر تأجيلا أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط . فأين المقصود الذى لها فى الشروط الاولى الى المقصود الذى لها فى هذا الشرط ؟ وأين فواته الى فواته ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزا شمطاء قبيحة المنظر انه لافسخ لاحدهما بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بفواته قبل الدخول فان استوفى المعقود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم فات الصداق جميعه ولم تظفر منه بحبة واحدة فلا فسخ لها . وقسم الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لايودها ولا ينفق عليها ولا يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس الذى فرقت الشريعة بين ماهو أحق بالوفاء منه وبين مالا يجوز الوفاء به وجمعتم بين مافرق القياس والشرع بينهما وألحقتم أحدهما بالآخر . وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التى يستحل بها الزوج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

امرأته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الاطلاق فجعلتموها أنتم دون سائر الشروط وأحقها بعدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية مالم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذي شرط الصلاة فيه وان كان (المصلى) وحده والى جانبه المسجد الاعظم وجماعة المسلمين . وقد ألغى الشارع هذا الشرط في النذر الذي هو قربة محضة وطاعة فلا تتعين عنده بقعة عينها الناذر للصلاة الا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر في نذره تعيينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب الى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتعيين الصلاة في مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة ومالبس بقربة لايجب الوفاء به في النذر ولا يصح اشتراطه في الوقف

« فان قلتم : الواقف لم يخرج ماله الا على وجه معين فلزم اتباع ماعينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القربة والقرب متساوية في المساجد غير الثلاثة فتعيين بعضها لغو . قيل فهذا الفرق بينه يوجب عليكم الغاء مالا قربة فيه من شروط الواقفين واعتبار مافيه قربة فان الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب الى الله فتقربه بوقفه كتقربه بنذره فان العاقل لا يبذل ماله الا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما تقربه الى الله . وأما بعد مماته فانما يبذله فيما يظن انه تقرب الى الله . ولو قيل

www.alukah.net شبكة الألوكة

له إن هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان العاقل اذا قيل له اذا بذلت مالك فى مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا الأجر فيه البتة ؛ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع مضادٌّ له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط العزوبية مثلا وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعا لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذى قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ،

« يوضحه انه لو شرط فى وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو المعالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف الغنى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح التزهب فى الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية فى الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزهب فانما قصد ان تركه [1] افضل واحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة [2]

(١) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر فى الجملة ولعله سقط من النساخ

(٢) يريد الذين أرادو ترك التزوج كعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو قصد هؤلاء الذين بعينه سواء فانهم قصدوا ترفيه انفسهم على العبادة وترك الكلف التي يشغلهم تقربا الى الله بتركه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا في غاية الظهور فكيف يحل الالزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحتمله الشريعة بوجه (٣)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطا باطلا مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجانف (وفي نسخة الحائف وكلاهما بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قربة وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد ان يقبله ويعتبره ويصححه

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي انما أخرج الواقف ماله لمن قام بها وان لم تكن قربة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم الى الله

---

(٣) فسره الترفة في هامش الاصل بالتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف على تشريف القبور وبناء القبب المساجد عليها وعلى ايقاد السرج والشموع عليها وذلك من المحرمات التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلها فيجب على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم او مكروه وان لا يقبل منه وان يدله على أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الامة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط التي انما بذلت المرأة بضعها للزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من العجب العجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع . ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونعتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثيم من أخل بشئ منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ما خالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشرط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والعرب حظا وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد العفاف . وصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقالوا ان عليه مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نعينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فضل الصوم والصلاة لا تحل مخالفته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان بارّ مثابا قائما بالواجب عليه؛

« يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود العقد فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع فى المبيع ونحو ذلك من الشروط التى صححها النص والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص ومعاويه بن أبى سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا يتزوج عليها ودلت السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم يخالف مقتضى العقد وصححتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قربة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط مايخالف القربة يناقضه مناقضة صريحة فاذا شرط عليه الصلاة فى مكان لايصلي فيه الا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فمقصوله ترك الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتعداه الى مكان أقلّ جماعة وانقص فضيلة وأقلّ أجرا اتباعا لشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق

« يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله فى المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منعتم فعلها فى بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتناول الوقف والا كان تناوله حراما كنتم قد التزمتموه بترك الاحب الى الله الا نفع للعبد والعدول الى بعض المفضول والمنهيّ عنه (أي كالصلاة الى القبور أو بقربها) مع مخالفته لقصد الشارع تفصيلا وقصد الواقف إجمالا فانه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولا

« ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبدا فانه لو شرط ان يصلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لا يشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء ان لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوّعا ولا يصلوا النوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها فقد جعل النكاح افضل من بعضها أو مساوله في أصل القربة وفعل الصلاة في المسجد الاعظم العتيق الاكثر جماعة أفضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد أفضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المفضولة وتبطلون ذلك ؟ فما هو الفارق بين ما يتسع من الشروط وما لا يتسع ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزّب فأيحتم له التزوج فطالبته الزوجة بحقها من المبيت وطالبتموه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجبه الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الايواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتجعلون شرطه أحق والوفاء به ألزم ؟ أم تمنعونه من النكاح والشارع والواقف لم ينهياه عنه ؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالحق ان مبيته عند أهله ان كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب فلا نص ولا قياس ولا مصلحة للواقف ولا للموقوف عليه ولا مرضاة لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف الذي يبين انه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق بعضه بعضا ولا يخالف بعضه بعضاً وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسئلة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤن المسلمين فلو احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقائهم ولكنهم يعتذرون بشروط الواقفين التي تعبدنا بها بعض الفقهاء وانما يعتذرون عن صرف الاوقاف في الوجوه الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شيء منها وثبوا عليه والتهموه التهاماً من غير نظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل الطبقة العليا في علوم المسلمين في أعظم معهد للعلم الاسلامي . يأكل الاغنياء حقوق الفقراء ويهضم الكبار ، ما وقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجيء يوم تزول فيه سلطة الظالمين ، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ، أو تقع في سلطة المتغلبين ، اذا دمنا على هذا الجمود المبين ، والعاقبة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م في مصر : ما حكم الله في قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله تعالى على قوم من العرب وبمحضر العلماء الذين لا يعرفون الا لغة بينهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يجرى ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وان تفضل السيد فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس

(ج) يشبه ان يكون هذا من اللغو الذي لا يغني ولا يفيد لانه لا يفهم وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون» وقوله جل ذكره في وصف عباده « واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما » . واخرج احمد وابو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي » ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما في حديث أحمد وأصحاب السنن الاربعة . وقراءة قصة المولد يتحلقون في قبلة المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك ان ذلك يلهي المصلي ولا فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً . وقد نهى الفقهاء عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الشريف والعلم النافع اذا كان يشغل المصلي . فما بالك بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟

أما أصل ذلك في السياسة فهو ان أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الاسلام ليوهموا عامة المسلمين بأنهم قائمون باقامة الدين واحياء شعائره وأن رياستهم الدينية هي بحق . ولما حكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وانما على هذه

ان تعتقد دينه وإحياء للشعائر الاسلامية . وأعجب من هذا ان نحو اللغة العربية وصرفها يعلمان فى مدارس الدولة العثمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب فى سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأرمن معلما للدين فى بعض مدارس سوريا الاميرية كأنهم لم يجدوا مسلما يحسن تعليم الديانة الاسلامية بالتركية . فالأصل فى هذه السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة ما عداها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل إن شاطانا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب فى عمان والكرك دينهم وليس فى المعلمين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بداوتهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدبره فلما هموا بذلك صدهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضئ وما رضوا حيلهم فى ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود او مسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن فى حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اه

(ج) مسئلة مس المحدث المصحف خلافية بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتعبد ان يختار قول من قال بوجوب الطهارة من الحدث الاكبر للقراءة ومن الحدثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضوء لحفظه حينئذ هو الأحوط والافضل . ونشير الى الخلاف فى المسئلة وادلته بالايجاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فقد فسروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صفة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة . اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر » اه وتفسير المطهرين بالملائكة مروي عن ابن عباس وقتادة . وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتج به وكذلك حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيهما النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروي عن ابن عباس والشعبي والضحاك وداود جواز مس المصحف للمحدث حدثا اصغر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتى قيل انه لم يحك فيه من الائمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل

وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بعموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه وبالبراءة الأصلية حتى يصح ما يصلح لتخصيص هذا العموم وللنقل عن هذه البراءة . اه ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بحملهم المصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الظلم بالاكل من الشجرة (س ٤) الشيخ محمد محمد عياد الطنبي بالازهر : أرجو حضرتكم أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الانبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام في معصية آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من العقائد في (ج ٣ : ٥)

والظلم أعم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفراً فمن قصّر في فضيلة أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة الفضيلة وفائدة العمل فقوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » لاينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم بأفظع أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيامة على الشفاعة ونحوها لايمنع أن يلم غير الكافرين بنوع آخر من أنواعه الخفيفة . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون » بالصغيرة وأنت ترى إن هذا ذنب تنتظره المغفرة . والشرك ظلم عظيم و « ان الله لايغفر ان يشرك به »

إسهار الذمية قرآنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟

(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لانه نور وهدى للناس وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوّج رجلا فقيراً امرأة فوضت أمرها اليه بما معه من القرآن ولفظ العقد زوجتكها بما معك من القرآن » وكان صلى الله عليه وآله عنه فيعين له السور التي يحفظها وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعليم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية والراجح ان ذلك في وقائع متعدده فثبت بالسنة ان تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً وعليه الجماهير الا الحنفية . ولم أر من استثنى الذمية في هذا المقام ولا من ذكرها فيه وأنت تعلم ان القرآن أفضل ما يدعى به الى الدين واكبر المنافع ولا شك ان رضاء هذه الذمية بتعلم شئ من القرآن انما هو لاعتقادها ان فيه منفعة لها . ولكن الذي منعوه هو تمليك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهانته . ومن أراد الاحتياط ووافقه الجميع فليضف الى التعليم قليلا من المال . هذا ماظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحا وقرئ المنبط السابق حسب العادة وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم النجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملالهم بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لابد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لاتكيف تتصرف في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ الطبيعة والراشدون من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بلفظ (الله) ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور ووصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسبما يصادفهم من التلقي عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول البشرية مهما كانت واسعة قوية لاتسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية واللامتناهي واللازمان واللامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ماوراء العقل ولهذا لايقال في الضالين انهم منحطون عقلا عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين والحاضرين اسمى عقلا بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان البارئ تعالى قد اللطف ببعض عباده واراد اقامة الحجة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فصاروا هداة للناس وهم (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس مقام المشرعين وأتوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عند طلب ذلك منهم (١) أن مخاطبيهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فآمن بهم من آمن أي شهدوا لهم بالرسالة واتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) المنار — هكذا فسر التحدي هنا والمعروف في علم الكلام ان التحدي طلب المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقي فأتوا بمثلها أو فآمنوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بهذه مقدمة أولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معشر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي احل البشر حكمة وفضيلة وصدقناه بانه رسول الله الى العالمين كافة مصححاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى مايكلف الله به عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً بلّغ رسالة ربه لم يترك ولم يكتم منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع اكمالاً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محظور علينا ان نزيد على مابلغنا اياه رسول الله أو ننقص منه او نتصرف فيه بعقولنا بل يتحتم علينا أن نتبع ماجاء به الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول اوفعله أو أقرّه وما اجمع عليه الصحابة ان أدركنا حكمة ذلك التشريع اولم نقدر على ادراكها وان نترك مايتشابه علينا من القرآن (يريد نفوض فيه) فنقول « آمنا به كلٌّ من عند ربّنا : وما يعلم تأويله الا الله »

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية نتصرف فيها كما نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرأفة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع والكسب بتبادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .

منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى الرسل وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه. هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس ووثنيو الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولايزالون أهل فطرة دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وان من شيء الا يسبح بحمده » بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤون العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يجلّونه عن تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة وجن وأرواح و.. وحيوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنواميس الكونية

جميع الحقوق محفوظة لشبكة الألوكة www.alukah.net

من افلاك وطبائع وانحلالات نفسية من سحر وتوجه فكر دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً او منعاً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب

وتوهمهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الأمور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والأعوان واستعانتهم بالبطانة والحاشية وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قررناه من ان آفة البشر الشرك الذي أوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت سنة الله تعالى جلّت حكمته أن يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك ويتناشونهم من وهدة شرّه في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده وبذلك تم حجته عليهم ويملكون حريتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقاء أذلاء لألف شيء من أرواح وأجسام وأوهام « فثمرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وثمرة الاذعان بأن « محمداً رسول الله) اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتنيله سعادة الدارين

« قتل الانسان ما أكفره » أو قبح ما أجهله . لا يهتدي الى التوحيد الا بجهد عظيم ويندفع أو ينقاد بشمرة الى الشرك فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتتقى في غير الله أو تيماً لله ذاهلا عن انه لو كان في الارض والسماء آلهة غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة رمل — لفسدتا

فالناس سريعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخشعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسمائهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع وبالضرورة والطبع لا معيشة أشد ضنكاً من معيشة المشركين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون وقال « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » وقال « ولا يظهر بها أحداً » وقد ذكر ابن هشام في سيرته عن بعض المشركين فقال من أبيات له :

أربّاً واحداً أم ألف ربّ ... أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزّى جميعاً ... كذلك يفعل الرجل البصير

ومثل هذه الأدلة في الموحدين والمشركين كثيرة جداً ... ولكن هذا مختصر لا يتسع لسردها ... وبالله التوفيق.

ثم أقول : إن المسلم يجب عليه أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى ... في كتابه المبين أن يعرف معاني هذه الألفاظ (إيمان وإسلام وعبادة وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن التي جعلناه قرآناً عربياً ... قال تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » فهذا علم أن ... هذه الألفاظ وأراد أن يحتال أحد ... لا يتعدى حدود الله يتعين حينئذ عنده ما هو مراد الله للشرك الذي لا يرضاه الله ... أشفق وخاف علينا نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك » (١)

ومن بحث عما ذكر من الألفاظ يجد أن أهل اللغة مجمعون على أن المدلول للفظ (الإيمان) الصلة والتسليم بدون اعتراض (٢) وللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

---

(١) المنار ... الحديث رواه ابن ماجه عن شداد بن أوس ولفظه « إن أخوف ما أخاف على أمتي الاشراك بالله أما إني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » رواه أحمد والبيهقي بلفظ آخر . (٢) ما فسر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يدل (التوحيد) لأن إثبات الشيء واحد وإذا أضيف إلى الله فيراد به نفي الأنداد والشركاء عنه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى معناهما المتفرد الذي لا مثل له أو ليس معه غيره . وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا الاشراك بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع الثلاثة نجد مظنة (الاشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما يصفون أفنى أو يفني بعض الاشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتعريف حتى عند اساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحبي)

أما مظنات (الاشراك في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه دَرَك البر أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق انه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلّت شؤنه ، وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الاول) كون غير الاحدية والخالقية ونحوهما من الصفات الخاصة بالله تعالى قد اشتركه فيه بعض عباد الصالحين تميز الحد الفاصل بين مراتبها في المخلوقين وبين مراتبها المختصة به تعالى

(الثاني) ما تعلقت به الغرائز من تفويض الله تعالى بعض الأمور الى الملائكة واستجابة

به الايمان هو معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على انه سقط من الأصل تفسير الايمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره تفسيراً للايمان . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال العرب يدل على أنهم لا يسمون كل تذلل وخضوع عبادة وانما يخصون العبادة بالخضوع الناشئ عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراء الاسباب العادية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دعاء المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومعلية سريعة السير لا يأوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم المطيع وتوفيق الله . ولذلك قاسى الرسل اولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراك مُعَظَّميهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والمزالم في إرجاع الناس الى حد الاعتدال وشددوا النكير على إطراء الناس إياهم وحذروا وأنذروا من مقاربة مظانّ الشرك حتى الخفيّ الذي يدب دبيب النمل

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمّى أمته الموحّدين وأنزل الله القرآن ربمه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجعلت أفضل الذكر لحكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاصٌّ بالمسلمين بل مقت الأمم كلها إذ يكد بفارقها رسلها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

(*) الشجرة الرابعة صنه هريرة اراسم

(الجزيرتان ــ والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الاطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال

سألني « أميل » منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من « لولا » كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في ان فيهم أ اء

جرى على الالسنة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو « ذلك ما أراده الله »

(*) مقتبس من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما كنت لأجيبهما بمثل هذا التعليل لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى اذهان الاطفال معنى كبيراً لمدلولاته العالية وما كنت أيضاً لأدخل معهما في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأصعبها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهما قصة فقلت :

روي انه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لاسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يعادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها أقشار ضخمة طبخت بمرقة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق «أميل») وكانوا في لباسهم بالغين حد الافراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون(١) الكجّة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في الشمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قمامات موائد المشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المتنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بُسُط هذه المتنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جبل ليأتمروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في مضاجعهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قرّت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبديها لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكجة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فاما الخزقة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها البكسة .

التي تحسدونهم عليها أو كما أسلافهم من وجوه شريفة أو خسيسة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كنهها كمال الادراك انه لابد لوجودها من سبب لان جميع الناس محافظون عليها راضخون لاحكامها حتى الآن. ثالثها ان مايجوز أن تنزعوه اليوم من أعدائكم بغلبتكم عليهم يجوز ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم فعلينا اذن أن نفكر جميعاً في اتخاذ وسيلة اخرى. لابد انكم سمعتم بوجود جزر اخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحس طالعنا بالولادة فيها فتضحكي لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بسفنهم مشحونة بالأرزاق وسواد الزخرف التي يستعملها الاغنياء انهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تمتد من الماء مكللة بالنباتات والاشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكاياتهم ان احدى هذه الجزر خالية من السكان ولاينقصها الا ارادتكم حتى تصبح جنة جمة الثمار دانية الجنى فان لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وهأنا ذا مع شيخوختي سأكون لكم قوة وافية وامدكم بنصائحي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أفضيت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون»

فتلقى جميعهم نصيحته بالتهليل وما عتموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بأنفسهم من ألواح خصاصهم فمال الاغنياء فرحاً لسفر هؤلاء الفوغاء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم لما كانوا يصدقون ويجهرون بقولهم جذا جذا هذا الخلاص

فلما كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لانهم كانوا لايملكون شيئاً استغفر الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم

مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل بأن البحر ابتلعهم ومن واهم بأنهم أكل بعضهم بعضاً. وبينما هم في هذا الاختلاف اذ رأوا ذات يوم سفينة مشحونة بالغلال وعروش التبارة رست على ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحيها وبعض ملامح وجوههم انهم من سكانها السالفين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لانهم ما حرثوا الارض وأحيوا مواتها حتى جللتها الحصائد وملأتها المزارع والمواشي فاعتبر الاغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقهوا لسماعها قهقهة المجانين.

على ان الملاحين لم يكونوا مبالغين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة القفرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومدن وطرق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

[illegible] في [illegible] وهناء وقد ضربت عليهم السكينة [illegible] يربون أبناءهم بذور [illegible] أرق [illegible] ولذلك كانوا يباكرون [illegible] العمل وأنشأتهم على حبه

أصبح الأمر على خلاف ذلك في جزيرة الأغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من يوم الى يوم لأن سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكسل بحيث انهم يستنكفون ان يتولوا بأنفسهم حرث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولاً وتعطلت جميع الحرف والصنائع لفقد عمالها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يوجد من الرجال من يقيم منآدها ٠

فزع الاغنياء في بدايا هـذا الانحطاط الى صناع الجزائر المجاورة لهم فلم يجيبوا دعوتهم لأنهم كانوا على بينة مما كانوا يعاملون به اخوانهم فلم يرضوا لأنفسهم ماقاساه هؤلاء من ضروب الاهانة ٠

ثم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم اشتروا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كنز لابد من نفاده بالغاً من الكثرة مابلغ خصوصاً اذا كان أصله لايتجدد ومن أجل ذلك لم يمض الا بضع سنين حتى غاضت أموالهم وأنشأوا يندمون ولات حين مندم على مافرط منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء ٠

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد تخلى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم لعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر عجلاتهم لفقدها من كانوا يقومون على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع منتعلات نعالا من الديباج مشوهة الاعقاب ولابسات جلابيب من الحرير المذهب كلها ممزق ومخروق لأنه يخجل اولئك السيدات الجليلات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه الاهدام بهـذا الصلف والعجرفة بهته حالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن من القسوة واللؤم الاستهزاء بالتعساء البائسين ولو كانوا من الاشرار ٠

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين ٠ كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضعفت الارض عن التحصيل لعدم ماكان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولولم يتداركهم اولئك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان « اميل » كثير الاصغاء اليّ في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى ابتدرني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة » فأجبته ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه يغني الأمم التي تعرف مناهج العدل وتسلكها . اهـ

باب الأخبار والآراء

﴿ أحياها محمد علي وأماتها خلفه ﴾

نشرنا مانشرنا دفي المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض لذكر بيت الإمارة (العائلة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من عقارب السعاية فقد قال المحالون إننا أهنا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فاننا برآء من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألقاها وطبعها وقرأها في الاسكندرية قد عجبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذم خلفه في الامارة لاسيما اسماعيل باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطل الأحداث — لعلمهم بانه لا يراد بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والتزلف اليه والشهرة بين الناس . وهم ان يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيا وأنتم أمتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم . فهذا هو ملخص الخطبة ونحن نزيده تفصيلا تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه أهان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذ بعض الأمم وتعلوها في كل علم وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤنها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بل . فعمل بأيديها أعظم الأعمال . وصرح ايضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار وضعف وإهانة . حقوق منهوبة . ووظائف مسلوبة . وعزائم مقبورة . ومزايا مستورة . ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل إنسان يفهم ان السيف الذي يقط الرقاب ويطلق الهام وهو مدية مُفَلَّل لا يعجز عن ذلك بعد السن والنحذ . وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض يكون أقدر عليه بعد عود الصحة وثوب العافية . فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم التركية وظفرت بالدول الحربية المستعدة مع محمد علي واستسامت وخضعت للانكليز على عهد توفيق وعباس الثاني . أن هذا لعجاب بلسان مقال . صطفى بك كامل . ولسان حاله بل مفهوم كلامه يقول

عادة السيف أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل الا في يدي بطل

جاء في الصفحة الرابعة من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والأمصار وكان عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها ان محمد علي ماضرب وغلب وساد . وأخضع لسلطان مصر البحار والبلاد . الا بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليلة ضئيلة لا حراك بها » ... « فرأها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام المحن والفتن قادرة على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة النهوض مايزحزح الجبال الراسيات . وتخرّ أمامه الشمّ الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الفلاحين وأنه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرفت فيهم الكوارث كما شاءت أبطالاً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم » . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي) الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً على نفسه » . كأنه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رأى وهو كنز مخفي وان هذا يئس من نفسه ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأسطولها في زمن

شبكة الألوكة www.alukah.net

محمد علي باشا ، ان يحدث انقلاباً حاسماً في نظام الحكم ، وأن يحل محلها أمة عاداها زمان فلم يترك لها ارادة ولا بأساً ولا غيرة لباس الوهن والاستسلام » . فهل يمكن أن نفسر هذا الحادث الا بأنه ناشئ عن رأيه بغير ما تقدم من رسم معرفة الامير الحاضر بقوة الأمة المصرية وبأسه من نفسه ومن أمته ، وتمكنه والأمة في أعلى الدرجات . . ؟؟ وكأنه ذكر الاسطول تمريضاً ببيع البواخر الخديوية على عهد هذا الامير

بعد هذا نوّهت الخطبة (ص ١٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن والقرى وبالعمال الذين زاحمهم البارود ولم يذكر لنا من هذه المعامل ومن من أدى هذه الأمة الحية من الأعمال بعد ارتقائها فيها . ثم عادت الى التنويه بالقوة الحربية والسياسية ففي الصفحة التاسعة ان (محمد علي) أحاط مصر بسياج من القوة العسكرية وجمع شملها بعد ان كانت شرذمة فقيرة من الأمة والتي منها وانه هو مصر عقلاً مدبراً وقلباً شاعراً وساعداً قديراً وجيشاً لجباً (كذا) وانه هو المصريين وطناً وأمة وحكومة . الخ الخ . ثم تكلمت عن الوطن والشهامة والاقدام وحب الوطن والتضحية في سبيله ورفع الراية المصرية على كل مكان ومكان . فأين ذهبت هذه المزايا كلها وأين حل محلها الوهن والاستسلام ، أيجب هبطت من أعلى مكانة تعرج اليها الأمم الى أسفل الهوة ؟ لا يفهم من الكلام الا أن أحفاد ذلك الجيش هم الذين ارتدوا القهقرى وفرقوا الشمل المجتمع وحولوا بأيديهم الشهامة والاقدام ، الى ذل ووهن واستسلام . يدل على هذا ما بعده في الخطبة

جاء في الصفحة التاسعة عقيب ما تقدم ان حكومة محمد علي كانت « قائمة على مبادئ ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا ملكة بدون إحيائها وهي أولاً حماية الوطن من الاعتداء الأجنبي وسياسته بما يرفيه المصري الى أسمى الوطنية ، وثانياً الالتزام بالعدل والانصاف ، وثالثاً الامتناع عن الدين واجتنابه كل الاجتناب » وظاهر ان أحفاد محمد علي لم يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فاسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو أساس الاستعباد كما في (ص ١١) من الخطبة ، وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين حتى ضباط العساكر من ترقيته الجراكسة والاتراك (الدخلاء) في الوظائف السامية ، وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكليز عندما اجتمعت كلمتهم وثاروا يطلبون أحد المبادئ الثلاثة ، التي زعم حديث السياسة ان (محمد علي) أقام عليها حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية وساقاها وهدما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من خطبته بالفرنسية فلم يفهم أحد منها شيئاً ولا فهم الخطيب من خطبته بالعربية فلم يفهم منها شيئاً فهل يأمن المصريين في جريدته؟ وان كان قاله من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدبرها ولا يفهمها !!!

وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال « مصر اليوم تمثل الاستسلام للانكليز والرضوخ لسلطته والامتثال لارادته ، وهي هي التي ردته عن ابوابها تحت امارة محمد علي وفي ظل رايته » ثم أثنى على الامة المصرية بباب الانكليز ما أثنى وذكر ان انكلترا « أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه الدولة الناشئة اما بمشايعة بني مصر أي أمتهم وإرادتها محمد علي أي أميرهم هواه فتركت الثغور والبلاد أسفة على فشلها معتزية بها المجد الباهر والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة المجيدة » منطوق الكلام صريح في ان الذي أرى الانكليز ذلك العزم القاهر في نفسه وفي الامة المصرية هو محمد علي وانه هو الذي كان امام الامة في الاستقلال . مفهومه ان أميرها في عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يرى الانكليز أو أميرهم « أية أمة أمته فالنتيجة انه هو محمد والامام في هذا الاستسلام »

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الامير الخليفة (وفقه الله تعالى) قد بلغ بمصر همة محمد علي وعزمه ، وزاد عليه بدينه وعلمه ، ولكنه لم يجد في البلاد رجالاً أصحاب عزائم يعمل بهم كما وجد محمد علي . والسبب في هذا هو انعدام في المنار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والنجدة في البلاد فحاربها حاربها حتى فنيت بعد ولايته في زمن قريب » فمقالة (آثار محمد علي في مصر) التي نشرناها في الجزء الماضي يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأميرنا الحاضر (أيده الله) واذا سلمت بهذه النتائج والمذاهب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي حجة على كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبعث في نفوس المصريين حب محمد علي وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقدمهم لأنهم هم الذين أضاعوا الاستقلال النفوس فضاع في أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاه الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فعجب سعي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سعايتهم اليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤوس النابتة كما فعل جدك فلا يصفو لك الملك في مصر » فليتق الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويفشون في عين مابه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ينصحون ، ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا انهم ينتفعون ،

ومما يصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ماتقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد على هدموا مابناه ، وأمتوا ماأحياه . مافي الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت السبيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأو مالايكتنه كنهه ، فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شئ هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟ ؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ،

هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا نتعرض لما فيها من الغلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد على وفق بين المدنية المصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفا وانما كان أميّاً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا ، وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين ، ولكنه لم يتعلم من العلم شيئا وحسبنا ماتقدم في المنار من حقيقة أمره ، نعم اننا لم ننكر انه كان جنديا باسلا وشجاعا حازما وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأولئك الشجعان الذين أبادهم ثم أبادهم

وبقي في الخطبة كلمتان لابد من التنبيه عليهما ، احداهما ماجاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنتهي كل قوة في مصر وهي السلطة العالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها ، فمنذا الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام ، بعد كل ماتقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه القوة الكامنة أولا ، وانها نصيحته في آخر الخطبة للمصريين ان يتركوا اليأس وينبوا مجدهم المقبل على التربية الوطنية ، ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار ، فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم ، لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة؟ وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلا انه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالحث عليها وانها المحيية للبلاد ليفهم الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خطبت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿مصاب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء العمران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو السائح الشهير ، والرحالة الخبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي. اختطفت المنية منا بغتة هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعائم والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو كان الرثاء والتأبين من موضوع المنار لرثيته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمير المدامع ، لاستعبر القارئ والسامع ، ولا لاستمد الرثاء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الخنساء . وانما استملي القلب بعض ما يجد من الكرب ، فانه ما أحزني خطب كخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه ،

حزني عليه دوره مسلسل ... مهما انتهى الى الفناد انقلبا

ولكنني أدع الرثاء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال العظام ، وكيف تضيعهم الامم والحكام ، ولتكون ذكرى لمن يذكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احداهما مصدق عليها من والي حلب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حلب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرته الاجتماعية والسياسية والأدبية وهذا تعريبها ملخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أفندي ووالده الشيخ أحمد أفندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحلب . ولد السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته وأخذ الإجازات من علمائها ودرّس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

شبكة الألوكة www.alukah.net

بعض الفنون الحديثة كالطباعة والتراجمة . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بقسميها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدة الشهباء التي أنشأها في حلب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسميا في الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة ١٢٩٣ عين محررا رسميا للجريدة الرسمية بقسميها (كانه كان في سنة ١٢٩٢ يحررها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً مخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (يعنون بالمخبري ما كان بدون راتب) وبعد ثلاث سنين انتهت دائرة اللجنة يزيد فيها قسم المنافعة (الاشغال العمومية) وعين عضوا مخريا فيها . وفي ٢ جمادى الاولى نصب محررا للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأمور الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً مخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً مخرياً لمطبعة الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً مخريا للجنة (قومسيون) النافعة وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين بامر نظارة العدلية (الحقانية) في الاستانة حضرة في محكمة التجارة بولاية حلب مع البقاء في وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفي سنة ١٣٠٣ انفصل من هذه الاخيرة وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ماتقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب (ناسكاتب) بقرار من مجلس الوزراء في دار السعادة . وفي ٢٨ ذي الحجة ١٣١٢ عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة املاك السلطان (الرجي) المشتركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي اثناء ذلك اتفق مع ادارة المصلحة وتعاقدا على أن يستلم من المصلحة جميع ماتقاضاه من الدخان (التنغ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيها منه ويتولى بيعه وتعهد في ادراك ذلك بمبالغ من المال تزيد عما كانت تبيع به المصلحة دخانها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولا لغرفة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

[illegible] وفي ٢٥ [illegible] وفي ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وجهت اليه مولويه أزميد الخ وده وفي ٢٨ من جمادي الثانية أنعم الوسام المجيدي من الدرجه الثالثة اه

ان من ينظر في هذه الترجمه الرسميه وهم من علماء الترجم ولا يسيره في هذه الوظائف العلميه الادبيه الإداريه القلميه الحقوقيه التجاريه الزراعيه المالية يقول ان صاحبها من أوساط الناس لا من افراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان العمران ومهذبي الأمم كما وصف في فاتحة الفول وكم بين من يعلم انه في كل عمل منها آلة بسيطة في إتقان العمل وحكمة التصرف في شئونه كيف يحسن رجل هذه الاعمال المتباينة . واذا وقفت بعد ذلك على بعض سيره في المرتبة وقوة الإرادة وعلم ما كانت تسمو اليه نفسه ويرمي اليه فكره وقرأ بعض ما جنت به قريحته الوقادة ، وفكرته النقاده ، علمت أنه من أفراد الزمان ، وواحد ما ذا كان يرجى منه لو ساعده الزمان والمكان ، واننا لم نأت بشئ مما وقفنا عليه من سيرته في مدة محبتنا له في هاتين السنتين اللتين أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التميز فعهد والده بتربيته الى خالة له (من بيوتات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن الشرق لا سيما في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق والنزاهة والعزة والشجاعة والتواضع والشفقة وحب الضعفاء وقد كنت تكلل من عرفه معجبا بأنانه حتى كنت أقول اني أراه يتروى في رد السلام ويتمكث في جواب من يحييه عدة ثوانٍ ولا اكاد أعرف أخلاقا أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبي حبوتي ... اذا رياح الطيش طارت بالحبي
* لا يطيبني طمع مدنس ... اذا استهال طمع أو اطـ*ـى
والحلم خير ما اتخذت جنة ... وأنفس الابراد من بعد التقى

(علمه ومعارفه) نزيد على ما جاء في السيرة الرسميه ان الفقيد درس قوانين الدولة درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حفظا لها وله انتقاد عليها يدل على دقة نظره في علم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شبكة الألوكة www.alukah.net

[illegible] ولا أعلم أنه برز في [illegible] أو لم يسبق في [illegible] من يحيد ذا [illegible] الأشياء به عملاً أو أبياً أو تعليماً [illegible] لا أن ينفع فعلاً لا يقتدر من الذين عرفه فيه أعمارهم. الا تراه [illegible] في طبائع الاستبداد لم يكتب منله فيا وقف في الشرق ولا في الغرب في نحو [illegible] من كثيرين لهم اطلاع واسع في مؤلفات فلاسفة الغرب وكتابه [illegible] على أنهم لم يعلم شيئاً من علوم النفس والاجتماع والسياسة وطبائع الملل والفلسفة في [illegible] والده وسنه في عد العلوم ما طالعه في من المؤلفات والجرائد التركية والسورية [illegible] أن سعاد يتصرف هذا التصرف الذي يفوق فيه الحكماء والفلاسفة في علم ما يأتي [illegible] أصعب العلوم البشرية وأدقها كيف يكون أمره لو تربى وتعلم في [illegible] منظمة كمدارس أوروبا [illegible] وكان عنده من مواد العلم ومعرفة الأمة والحكومة بنية صالحة مستعدة في أوروبا [illegible] لجملة أنك لم تكن تذاكره في شيء ولا تعلم إلا ويشاركك فيه على بصيرة

(عمله ووجهته) كانت وجهة التقيد في كل عمل عملياً أو حاولها هي النفعة العامة فأول شيء ولاه وجهه هو انشاء جريدة في بلاده لم تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتابة رائجة فيها ولو كان في بلاده حرية لكان لها في [illegible] الأثر المحمود ولكن البلاد تحكم بالاستبداد كالأرض التي [illegible] فيها [illegible] من الجراثيم الفاتكة التي انشأها لأن نفسه الآبية لم تستطع ارضاء الحكام مهما يكن [illegible] وهكذا كان شأنه في وطنه نفسه — ولي رياسة البلدية فكان أول عمل له للبلد أن وسع على طرق المدينة من خارجها سلاسل من الحديد تمنع الحمال التي كانت تسد الطرقات وتمنع المارين من التردد في حوانيتهم وجعل لهذه السلاسل أبواباً تحول إلى البلدية ومكاناً أو أكثر [illegible] وكانت [illegible] (الكاتب) قد [illegible] في [illegible] الأغنياء يأخذها من البلدية بالالتزام ولا يشير على [illegible] أحد أقربه من الرؤساء فلما علم أن الرئيس الجديد لا يصدق [illegible] عن [illegible] عرض عليه أربعين ألف قرش أو أكثر يعطيها إياها (رشوة) لكل علم في [illegible] سكوته عنه فلم يقبل المقيد أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون المبلغ [illegible] صندوق البلدية فعلم الوالي بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له [illegible] فأبى عليه الفقيد ذلك فعزله.

وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جلها — يهدي للإصلاح فيصدونه عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا يتم له عمل

(لها بقية)